الآداب

المجلد:22، العـــدد:01، ديسمبر 2022

الصفحات: 84-98 ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

المرجعية البيئية للمصطلحيْن البلاغي والنقدي في التراث العربي

The Environmental Reference of the Rhetorical Term and the Critical Term in the Arab Heritage

د. زيار فوزية [1]

[1] جامعة عبد الجميد بن باديس مستغانم – الجزائر، fouzia.ziar@univ-mosta.dz

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 تاريخ القبول: 2022/10/16 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

تناولنا في هذه الدراسة المرجعية البيئية للمصطلحين البلاغي والنقدي في التراث العربي، محاولين إبراز العلاقة التي تربط المصطلح ببيئته التي كانت رافدا من الروافد المكانية والاجتماعية التي أسهمت في تطور المصطلحات وبلورتها في الأبحاث البلاغية والنقدية، مبرزين أثر البيئة في تشكيل هوية اللغة وأصالتها والمحافظة عليها في معترك روح التجديد والمثاقفة مع الحضارات الأخرى.

كلمات مفتاحية: علم اللغة البيئي؛ البلاغة؛ النقد؛ اللغة؛ المصطلح؛ التراث العربي.

Abstract:

In this study, we dealt with the environmental reference of the rhetorical term and the critical term in the Arab heritage, trying to highlight the relationship that binds the term to its environment, which was one of the spatial and social tributaries that contributed to the development and conceptualization of terms in rhetorical and critical research. We highlight the impact of the environment in shaping the language's identity, authenticity and its preservation in the battlefield between renewal and acculturation with other civilizations.

Keywords: *Environmental linguistics; rhetoric; criticism; language; term; Arab heritage.*

المؤلف المراسل: زيار فوزية.

مقدمة:

تدين كل من البلاغة والنقد في نشأتهما وتطور واستقرار مصطلحاتهما على الرغم من الوشائج بينهما إلى جهود العلماء الذين عكفوا على البحث في مسائل اللغة، حينما استقرت العلوم وازدهرت حركات التأليف والتصنيف، شكلت هذه المصطلحات منظومة معرفية جمعت ما بين الثبات اللغوي وشمولية المفهوم ودقة الدلالة، التي كان من شأنها حفظ الحدود بين المصطلحات وتمايزها بما ينأى بالدارس عن إشكاليات التعدد المصطلحي وازدواجية المفهوم؛ ذلك أن للمصطلح البلاغي والنقدي من الخصوصيات والسمات ما يجعلهما يحافظان على كيانهما، استمدا وجودهما وخصوصياتهما من مرجعيات ارتبطت بالحياة العربية كالمرجعية الثقافية، والعقدية، والبيئية، وحتى الفلسفية والمنطقية، وما يهمنا هاهنا هو أثر البيئة في تشكيل المصطلحات، وكيف اهتدى العرب إلى ضبط هذه المفاهيم لتلك المدلولات؟.

1.دور البيئة في تشكيل المصطلح:

لا شك أنه لكل علم مصطلحاته الخاصة به، ومفاتيح كل علم مصطلحاته[1]، وهو ما أكده التهانوي في مؤلفه (كشاف اصطلاحات الفنون) حين قال: " إنّ أكثر ما يُحتاج به في تحصيل العلوم المدوّنة والفنون المروَّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه الاهتداءُ إليه سبيلاً ولا إلى انقسامه دليلاً "[2]، ومسألة نشأة المصطلحات بدأت منذ العصر الجاهلي، فالمفردات اللغوية لها معان في المعجم، ولما تصير اللفظة مستعملة للدلالة على معنى يغاير المعنى اللغوي مع وجود مشاكلة بين المعنيَيْن، أُطلق عليه **الاصطلاح**، فعلى سبيل التمثيل كلمة "الفحولة" التي شاعت في العصر الجاهلي، أضحت ذات دلالة اصطلاحية نقدية للدلالة على البراعة في قول الشعر والتفوق فيه؛ أي أنها انتقلت من دلالة الذكر من الحيوان إلى ميدان الشعر والشعراء لوصف طبقة منهم انمازت عن غيرها وتفوقت، وهذا التأثير نجم عن تأثير البيئة البدوية المحيطة بالشاعر، وكذا نمط الحياة الاجتماعي السائد حينما كان يغلب دور الرجل على المرأة في مجتمع ذكوري.

والحق يقال إن المصطلح العربي كان في نشأته متأثرا بروافد بيئية طبيعية، وأخرى ثقافية وعقدية، وحتى تأثيرات أجنبية نتيجة انفتاح العرب على غيرهم من الأمم، وما يهمنا هنا علاقة المصطلحات البلاغية والنقدية بعامل البيئة، وكيف انتقلت الدلالات من المعنى اللغوي العام إلى المعنى الاصطلاحي الخاص؟

وما مدى التأثير المتبادل بين البيئة واللغة التي تتطور فيها؟، وهو ما استفاضت فيه علوم اللغة الحديثة المتفرعة عن اللسانيات كاللسانيات الاجتماعية والجغرافية، وعلم اللغة البيئي Ecolinguistics الذي يعد اللغة مكونًا لا يتجزأ من سلسلة العلاقات بين الإنسان والمجتمع والطبيعة.

1.1 مفهوم المصطلح:

لغة: من الفعل "صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً؛ والصَّلاح: ضدّ الفساد"[3]، وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: صلح " الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد يقال صلح الشيء يصلح صلاحا"[4].

"وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده: أَقامه. وأَصْلَحَ الدابة: أَحسن إِليها، فَصَلَحَتْ. وفي التهذيب: تقول: أَصْلَحْتُ إِلى الدابة إِذا أَحسنت إِليها، والصُّلْحُ: تَصالُحُ القوم بينهم، والصُّلْحُ: السِّلْم، وقوم صُلُوح: مُتصالِحُون، كأَنهم وصفوا بالمصدر"[5].

ومن هذه المعاني استمد العلماء معنى المصطلح والاصطِلاَح.

المصطلح: مصدر الفعل اصْطَلَحَ ويعني "اتفاقُ طائفة على وضع اللفظ إزاء المعنى"[6] أو "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[7]، وكلها تصب في معنى الاتفاق لذلك يُطلقُ على كل "لفظ أو كلمة اتفق جماعة على اطلاقها على معنى خاص يشترك فيه مع المعنى اللغوي قبل الوضع أو يتصل به من جهة ما، ويخالفه في جملة من المقومات كالخصوصية، والدقة، مقارنة بالمعنى المعجمي الذي يتسم بالشمولية"[8]، والمصطلح وليد الحاجة تبعا للظروف ولكل علم اصطلاحاته الخاصة.

وقد أجاد الجرجاني في التعريفات حينما استفاض في هذه المسألة وكأنه يحلل لنا آلية توليد المصطلح بعد نقل اللفظ من الدلالة العامة إلى الدلالة الخاصة للتعبير عن مدلول جديد فيكون

المصطلح: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقله عن موضعه إلى موضع جديد لوجود مناسبة بينهما"[9]؛ ولكن الأمر لا يحدث بهذه البساطة وإنما لابد من توفر شروط منها[10]:

- اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية.
- اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى.
- وجود مناسبة أو معنى مشترك بين المدلول الجديد والمدلول العام.
- الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي موحد.

2. أثر البيئة في تشكيل المصطلحات البلاغية والنقدية:

إذا كان الأدب ميدان البلاغة والنقد آلتها، فلا غرابة أن تتفق أو تتشابه بعض المصطلحات، مادامت أغلبها مستمدة من البيئة، من عالم الحيوان، أو الطبيعة، وحتى العادات التي تلونت بها الحياة العربية في شبه الجزيرة العربية من بداوة، أو ما اعتراها من تجديد في المشرق والأندلس، ومن أهم المصطلحات النقدية المأخوذة من البيئة مصطلح الفحولة.

1.2المصطلحات النقدية:

- الفحولة:

الفحل في اللغة: "فحل: الْفَحْلُ معروف: الذكر مِنْ كلّ حيوان، وجمعه أَفْحُلٌ وَفُحُولٌ وَفُحُولَةٍ وَفِحَالٌ وَفِحَالَةٌ، ورجل فَحِيلٌ: فَحْلٌ، وإنه لَبَيِّنُ الْفُحُولَةِ وَالْفِحَالَةِ وَالْفِحْلَةِ. وَفَحَلَ إِبِلَهُ فَحْلًا كريما: اختار لها، وَافْتَحَلَ لدوابه فَحْلًا إذا أرسل فيها فَحْلًا"[11]، يطلق على الذكر القوي من الحيوان وكانت العرب تطلق على إبلها صفة الفحولة، فـ"الفاء والحاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارةٍ وقوّة، ومن ذلك الْفَحْلُ من كل شيء وهو الذكر الباسل"[12]، وفي القاموس المحيط: "رجل فَحِيلٌ: فَحْلٌ ... وفُحُولُ الشّعر الغالبون بالهجاء من هاجاهم، وكذا كلّ من إذا عارض شاعرًا فُضَّل عليه"[13]، كما أطلق لفظ الفحول على الرواة[14].

ما نلاحظه هو انتقال لفظة الفحل التي ارتبطت بذكر الإبل إلى ميدان الأدب، والنقد لوصف الشعراء المتميزين يقول الأصمعي (ت 216هـ): "الشاعر الفحل له مزيّةً على غيره، كمزيّة الفحل على

الحقاق"[15]، ولعل من أشهر الشعراء الفحول علقمة الفحل*، وهذا المصطلح وإن كان مطردا في بيئة النقاد، نجده مستعملا بقوة أيضا في بيئة الشعراء، كما أشار إلى ذلك الدكتور الشاهد البوشيخي في كتابه: "مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء"[16]، لا مع الأصمعي، ولا ابن سلام الجمحي، ولا ابن قتيبة فحسب، وإنما كان معيارا للمفاضلة بين الشعراء حين احتكامهم للنابغة والروايات في ذلك كثيرة، ثم انتقل بعد ذلك إلى النّقاد.

ومن خلال هذه الأمثلة يتضح لنا المعنى الاصطلاحي، الذي يدور في فلك البراعة في قول الشعر، فالفحول من الشعراء هم المتقدمون من الشعراء، الذين بلغوا من الكمال، والنضج مما جعلهم يتبوؤون الطبقات الأولى، وهذا ما أكده الأصمعي: "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ"[17].

وكما سبق وأشار الأصمعي فالفحولة مصطلح استعاره الشعراء النقاد من الطبيعة، ووظفوه في نقدهم لوصف كل شاعر فحل، مقتدر على الخوض في كل ضروب الشعر.

ويضاهي هذا المصطلح مصطلحات أخرى لا تخرج عن هذه الدلالات منها: "**والمُصَلِّي** من خيل السباق: الذي يتْلُو السابق، **والسّكيت**: وهو الذي يجيء آخر الخيل في السباق، **والخنديد**: الفحل التام"[18]، ويستعارُ لفظ المصلّي للإنسان إذا كان تاليا للأوّل في أي عملٍ كان، ومن ذلك ما رواه ابن سلام في طبقاته في سياق المفاضلة بين الشعراء: "كان يقال: الأخطل إذا لم يجيء سابقا فهو سُكَيْت، والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سكيتا، فهو بمنزلة المصلي، وجرير يجيء سابقا وسكيتا ومصليا... للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالا روائع غررا جيادا هو بهن سابقا، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما يلي بمنزلة السكيت، والسكيت آخر الخيل من الرهان"[19].

والخنديد يعني الخصي من الخيل، وقد استعمله ابن سلام والجاحظ، وابن رشيق في سياق الإشارة إلى مراتب الشعراء من ذلك ما أورده الجاحظ: "والشعراء عندهم أربع طبقات؛ فأولهم الشاعر الخنديد، والخنديد هو التام... ودون الفحل الخنديد الشاعر المفلِق، ودون ذلك الشاعر فقط، والرابع الشعرور"[20]، والشاعر الخنديد في الرتبة الأولى لجمعه بين قول الشعر وروايته.

ومنه نرى أن البيئة قد شكلت عاملا مهما لظهور الكثير من المصطلحات البلاغية والنقدية، من قبيل حيواناتها وجمادها وأشيائها وإنسانها، إما عن طريق تشبيه صفات بصفات، أو عادات مما اعتاد العرب عليها وتلونت حياتهم بها، ولعل من أمثلة ذلك اقتراضهم أسماء عبروا بها عن عدد من الأحوال مثل مصطلح الإغارة ما يتصل بالسرقات الشعرية.

– الإغارة:

مأخوذ من: "أَغَارَ على القوم إِغَارَةً وَغَارَةً: دَفَعَ عليهم الخيل، وَقِيلَ: الْإِغَارَة المصدر والغَارَةُ الاسم من الْإِغَارَةِ على العدوّ؛ قال ابن سيده: وهو الصحيح. وَتَغَاوَرَ القوم: أَغَارَ بعضهم على بعض. وَغَاوَرَهُمْ مُغَاوَرَةً، وَأَغَارَ على العدو يُغِيرُ إِغَارَةً وَمُغَارًا إذا نَهَبَ"[21].

والإغارة مصطلح نقدي من مصطلحات السرقات الشعرية التي استوحاها النقاد من البيئة البدوية على غرار الغصب والمرادفة والمصالتة.

وتعني "أن يصنع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا فيروي له دون قائله"[22] ومن قصص الإغارة ما رواه ابن سلام الجمحي عن الشاعر الجاهلي قراد بن حنش أحد شعراء غطفان المشهورين، والتي كانت غطفان تأخذ شعره وتدعيه وتنسبه لزهير بن أبي سلمى حسب بعض الروايات[23].

– عمود الشعر:

مصطلح عمود الشعر يحيل في الموروث العربي إلى الشعر العربي التقليدي الذي وضع قواعده وأوزانه الخليل بن أحمد الفراهيدي، "والعمود وثيق الصلة بالخباء أو الخيمة" [24]، وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء البيت رمز الاستقرار، والطمأنينة في الحياة الاجتماعية، ثم انتقل إلى الوعي اللغوي ليدل على بيت الشعر الذي لا تقوم له قائمة، إلا إذا تم تأسيسه على وزن، وقافية، وأسباب، وأوتاد، وكلها تمثل عناصر عمود الشعر وقوامه، نظرا لما تمثله من صفات الشموخ والأنفة والأصالة رمز المكان وزمانه والتخلي عنه تخل عن الأصالة والثبات.

يقول القرطاجني مفسرا سبب اصطلاح العرب على عمود الشعر وما تفرع عنه من مصطلحات بقوله: "جعلوا الوضع الذي يبنى عليه منتهى شطر البيت، وينقسم البيت عنده بنصفين بمنزلة عمود

البيت المضوع وسطه، وجعلوا القافية بمنزلة تحصين منتهى الخباء والبيت من آخرها وتحصينه من ظاهر وباطن، ويمكن أن يقال: إنها جُعلت بمنزلة ما يعلى به عمود البيت من شعبة الخباء الوسطى، التي هي ملتقى أعالي كسور البيت وبه مناطها، وقد يقال: إنهم جعلوا العروض، والضرب وهما نهايتا شطري البيت في أن وضعوهما وضعا متناسبا متقابلا منزلة القائمين في وسط الخباء، اللتين يكون بناؤه عليها...وجعلوا الاعتماد على السواكن، وحفظ نظام الوزن، بمنزلة الأوتاد التي تحفظ وضع الخباء، وتمسك جوانبه"[25].

وعلى الرغم من تطور قضية عمود الشعر وتأرجحها ما بين الثبوت والتغير إلا أنه خضع في نشأته إلى عامل البيئة وتأثر بها أشد التأثر.

ومنه نرى أن للبيئة البدوية أثرا في المصطلح النقدي، منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ربط بين عروض الشعر وبيت الشَّعر، فالشعر في نظر الخليل ولد في بيئة بدوية، ولهذا كان صورة لحيات البدوي وعقليته الاجتماعية وظروفه، وهذا ما جعل البلاغيين والنقاد يستقون مصطلحاتهم من نمط حياتهم، فقد كان صنيع الخليل دليلا يحتذي به النقاد من بعده، فاستعاروا الكثير من المصطلحات من الخيل حين جعل ثعلب(ت 291هـ) الأبيات **غراء، ومحجلة، ومرجّلة**، وحتى حازم القرطاجني رغم نضج النقد وتطوره عاد إلى البيئة البدوية واستعار مصطلحات من قبيل **التّسويم والتّحجيل** المأخوذين من الفَرس.

– الأبيات المعدلة:

من الاعتدال أو المعدلة مأخوذة من لون الفرس المعتدل الغرّة، جاء في لسان العرب: "فرس معتدل الغرّة إذا توسطت غرته جبهته فلم تصب واحدة من العيْنين ولم تملْ على واحد من الخدين"[26]، والبيت المعدّل: "ما اعتدل شطراه، وتكافأت حاشياته، وتم بأيهما وقف عليه معناه"[27].

– الأبيات الغرّ:

مأخوذة من البياض الذي في جبهة الفرس، "والغُرة وهي: بياض في الجبهة، قال ابن سيده: الغرة نفس القدر الذي يشغله البياض من الوجه، لا أنه البياض، وغرة الفرس: البياض الذي يكون في

وجهه"[28]، والأبيات الغر والبيت الأغرّ ما اتضح قصده "وهو ما نجم من صدر البيت بتمام معناه، دون عجزه، وكان لو طرح آخره لأغنى أوله بوضوح دلالته"[29].

– الأبيات المحجلة:

مأخوذ من تحجيل الفرس، والتَّحْجِيلُ في اللغة يعني البياض، والقيد أيضا، والفرس المحَجَّلَةُ التي يكسو قوائمها حلقات بيضاء كأنها قيد، والحَجْلُ: مشيُ الْمُقَيَّدِ. وَحَجَلَ يَحْجُلُ حَجْلًا إذا مشى في الْقَيْدِ، قَال ابن سيده: وَحَجَلَ المقَيَّدُ يَحْجُلُ وَيَحْجِلُ حَجْلًا وَحَجَلَانًا وَحَجَّلَ: نَزَا فِي مشيه وكذلك البعير الْعَقِيرُ، وقال الأزهري يقال للإنسان إذا رفع رجلا وتربّث فِي مشْيِه على رجلٍ قد حَجَلَ[30]، ثم انتقل المعنى إلى النقد ليدل على المعنى المقيد في أشطر البيت الشعري، بحيث يكون المعنى مقيدا في البيت الشعري لما جاء في صدره يقول ثعلب: "ما نُتِجَ قافية البيت عن عروضه، وأبانَ عجزه بغية قائله، وكان كتحجيل الخيل، والنورِ بعقب الليل"[31].

ومن هذا المعنى اقتبس القرطاجني مصطلح التحجيل الذي يعني تذييل أواخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية لتقع في النفوس أحسن موقع، كما أبرز العلاقة بين المصطلح والاستعمال اللغوي قائلا: "فانّا سمينا تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكمية، والاستدلالية بالتحجيل ليكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوا من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس، فاذا اطّرد للشاعر أن تكون فواتح فصوله على هذه الصفة واستوسق له الإبداع في وضع مباديها على أحسن ما يمكن من ذلك صارت القصيدة كأنّها عقد مفصّل، وتألقت لها بذلك غرر وأوضاح، وكان اعتماد ذلك فيها أدعى الى ولوع النفس بها وارتسامها في الخواطر لامتياز كل فصل منها بصورة تخصّه"[32].

– الأبيات الموضحة:

الوضحُ "بياض غالب في ألوان الشاء قد فشا في جميع جسدها"[33]، وتم استعارة المعنى في النقد للدلالة على تفشي المعنى في البيت، ويطلق ثعلب مصطلح الأبيات الموضحة على كل أبيات "استقلت أجزاؤها، وتعاضدت وصولها، وكثرت فقرُها، واعتدلت فصولها، فهي كالخيل الموضحة، والفُصوص المجزعة، والبُرود المحبرة .ليس يحتاج واصفها إلى: لو كان فيها سوى ما فيها"[34].

– الأبيات المرجلة:

استعار ثعلب هذا المعنى من ترجيل الفرس، ويعني "بياضا في إحدى رجليْها، إذ لا بياض يميزها في موضع غير ذلك الموضع"[35].

والأبيات المرجلة في النقد "التي يكمل معنى كل بيت منها بتمامه، ولا ينفصل الكلام منه ببعضٍ، يحسن الوقوف عليه غير قافيته، فهو أبعدها من عمود البلاغة، وأذمها عند أهل الرواية؛ إذ كان فهم الابتداء مقروناً بآخره، وصدره منوطاً بعجزه، فلو طرحت قافيةُ البيت وجبتْ استحالتُه، ونسب إلى التخليط قائلُه"[36] والبيت المرجل لا يفهم معناه إلا إذا وقف السامع على قافيته.

ومع كل هذا لا يمكن للمنبع البدوي أن يمد الناقد بكل ما يحتاجه من مصطلحات، خاصة حين يخضع الشعر لضروب الصنعة بعدما قويت المؤثرات الثقافية، والحضارية على غرار كتاب البديع لابن المعتز، حينما التفت النقاد والبلاغيون إلى السياق الشكلي في التأليف حيث، وجدوا مصطلحات جاهزة في الصناعة أو الحياكة وربطوا بينها وبين الشّعر مثل التصريع، والتطريز والتوشيح وأشباه ذلك. ومنه نرى أن تطور المصطلح واتساعه أمر ملحوظ خلال العصور، بحيث خدم قضايا النقد كما خدم البلاغة وتحولاتها.

2.2 المصطلحات البلاغية: ومن أهم المصطلحات البلاغية المأخوذة من الطبيعة

– الاطراد:

في اللغة الاطراد مصدر الفعل اطرد ويعني "التتابع، وبعير مطرد: وهو المتتابع في سيره ولا يكبو"[37].

والاطراد في البلاغة حسب ابن رشيق المسيلي القيرواني من حسن الصنعة وهو: "أن تطرد الأسماء من غير كلفة، ولا حشو فارغ؛ فإنها إذا أطردت دلت على قوة طبع الشاعر، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر"[38].

– النظم:

النَّظمُ في اللغة: التأليف، "نَظَمَهُ يَنْظِمُه نَظْمًا ونِظَامًا ونَظَمَهُ فانْتَظَم وتَنَظَّم. ونَظَمْتُ اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتَّنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته

بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنظم: المنظوم، والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدته نظْمَة"[39].

وعرف البلاغيون النظم منذ مسألة البحث في إعجاز القرآن الكريم سيما فئة المتكلمين، ثم تبلور المصطلح أكثر مع الجرجاني (ت 471هـ) وأضحى نظرية في علم المعاني أساسها " توخي معاني النحو في معاني الكلم"، وقد ناقش الجرجاني في مؤلفه دلائل الإعجاز مفهوم النظم في أكثر من موضع "إذ ليسَ النظمُ "إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النحو، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسِمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها"[40]، أي معرفة المتكلم قوانين النحو ومناهجه ووجوهه وفروقه.

– السجع أو التسجيع:

وسَجَعَ الحمام يسجع سجعًا: هدل على جهة واحدة. وفي المثل: لا آتيك ما سجع الحمام، يريدون الأبد، وسجع الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد. تقول العرب: سجعت الحمامة إذا دعت وطربت في صوتها. وسجعت الناقة سجعا: مدت حنينها على جهة واحدة. يقال: ناقة ساجع، ناقة ساجع طويلة، وسجع له سجعا: قصد، وكل سجع قصد. والساجع: القاصد في سيره.

سجع يسجع سجعا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع[41] وكلام مسجع ومن هذا المعنى أخذ البلاغيون مصطلح السجع كلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن من الاستواء والاستقامة والاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبتها.

يقول ابن الأثير (ت 637هـ) السّجع: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[42].

ومن المصطلحات البلاغية المأخوذة من البيئة الحضارية لما شهدته من مظاهر التمدن، وفن العمران، والحرف:

– الترصيع:

والترصيع: التركيب، يقال: تاج مرصع بالجوهر وسيف مرصع أي: محلى بالرصائع، وهي حلق يحلى بها، الواحدة رصيعة. ورصع العقد بالجوهر: نظمه فيه وضم بعضه إلى بعض[43].

وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وذاك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر، وكذلك أن تكون لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساويةً لكلِّ لفظة من ألفاظ الفصل الثاني

في الوزن والقافية[44]، وأصله من قولهم: رصّعت العقد، إذا فصّلته، وذهب أكثر البلاغيين إلى اعتباره خاصية من خصائص الشعر متعلق بأوزانه يقول العسكري: "الترصيع أن يكون حشو البيت مسجوعا، ومثاله قول امرىء القيس:

سَلِيمُ الشَّظى، عَبْلُ الشَّوى، شَنِجُ النَّسا له حَجَباتٌ مُشْرِفاتٌ على الفَالِ"[45].

وقال ابن رشيق: "وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة"[46].

– التطريز:

الطرز: البز والهيئة، والطراز: ما ينسج من الثياب للسلطان، والطرز والطراز: الجيد من كل شيء، الطراز معروف هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد، ويقال :طرّز الثوب فهو مطرّز.

وقد قال العسكري في تعريفه: "هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب، وهذا النوع قليل في الشعر"[47]، وأما ابن قيم الجوزية التطريز: "أن تأتي قبل القافية بسجعات متتالية فيبقى في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب"[48] كقول ابن الرومي:

إذا أبو قاسمٍ جادتْ لنا يدهُ
لم يُحمَد الأجودانِ البحر والمطرُ
ولو أضاءتْ لنا أنوار غُرّته
تَضاءل النَّيران الشمس والقمر
وإنْ مضى رأيه أو حدُّ عزمتِهِ
تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يبتْ حذِراً من خوفِ سطوته
لم يدرِ ما المزعجان الخوف والحذر
كأنه وزمامُ الدهر في يده
يرى عواقبَ ما يأتي وما يذر

فالتطريز في قوله: الأجودان، والأنوران، والماضيان، والمزعجان وهو مظهر من مظاهر التطور الحضاري.

خاتمة:

من خلال هذه الأسطار يبدو أن المصطلح عامة النقدي والبلاغي على وجه الخصوص، وسيلة لسد حاجات العلماء للتعبير عن القضايا التي تناولوها، كما حصل مع الخليل بن أحمد الفراهيدي مع مصطلح العروض.

– تأثر البلاغيون والنقاد بشكل جلي بالواقع المعيش في استعمالاتهم للمصطلح، وخير دليل على ذلك مصطلح الفحولة.

– تناول الكثير من الدارسين نشأة المصطلح ومرجعياته، لكنهم لم يبلوروا نظريات تقف عند حدود التلاقي والتأثير والتأثر، ولربما حان الوقت لتدخل اللسانيات وفروعها ونعني بهما اللسانيات الجغرافية وعلم اللغة البيئي لنتجاوز مرحلة التنظير إلى التطبيق طالما أن المصطلح مقترض من معايشة البيئة.

الهوامش والإحالات:

[1] ينظر، الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تح: محمد كمال الدين الأدهمي، مؤسسة هنداوي، 2020م، (المقدمة)

[2] التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1983م، ج1، مادة (صلح)، ص28

[3] ينظر، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان (د.ط، د.ت)، مادة (صلح)، الفيروز آبادي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، القاموس المحيط، تح: محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت، 2014م، د.ط، مادة (صلح).

[4] ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط، د.ت)، مادة (صلح).

[5] لسان العرب، مادة (صلح).

[6] الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1992م، ص 28.

[7] الزَّبيدي مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ط، د.ت، مادة (صلح).

[8] ينظر، تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م، ص 124، 125.

[9] الجرجاني، التعريفات، ص28.

[10] أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، المجمع العراقي، بغداد، 2002م، ص08.

[11] ابن منظور، لسان العرب، مادة (فحل).

[12] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (فحل).

[13] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (فحل).

[14] ابن منظور، لسان العرب، مادة (فحل).

[15] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، فحولة الشعراء تح: المستشرق ش. تورّي تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط 2، 1400هـ-1980م، ص9.

* أما سبب تسمية علقمة بالفحل قيل: هزمته لامرئ القيس في الموازنة التي عقدتها أم جندب، ومنهم من قال أن زواجه من أم جندب بعد أن طلقها امرئ القيس إلا أن الشاهد البوشيخي ينفي أن يكون مصطلح "الفحولة" موجودًا في المدونة الشعرية الجاهلية وإنما لقب علقمة في صدر الإسلام

[16] ينظر، الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج، القلم، ط1، 1993م، ص79.

[17] ابن رشيق المسيلي القيرواني أبو على الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1401هـ -1981م، ج1، ص172.

[18] ينظر، الفيومي أحمد بن محمد علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، ج1، ص708.

[19] الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط2، 1974م، ج1، ص374، 375.

[20] ينظر، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، حقوق الطبع للمجلس العربي الإسلامي، بيروت، ط4، ج3، ص366.

[21] ابن منظور، لسان العرب، مادة (غور).

[22] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000م، ص37.

[23] الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص733.

[24] ينظر، المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح، مآخذ العلماء على الشّعراء في عدّة أنواع من صناعة الشّعر، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م، ص28.

[25] أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م، ص253،254.

[26] ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرر).

[27] ثعلب أبو العباس، قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1995م، ص 66.

[28] ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرر).

[29] نفسه، ص76.

[30] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجل).

[31] ثعلب، قواعد الشعر، ص72.

[32] القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 298 وما بعدها.

[33] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وضح).

[34] نفسه، ص 81.

[35] ابن منظور، لسان العرب، مادة (رجل)

[36] ثعلب، قواعد الشعر، ص84.

[37] ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرد).

[38] ابن رشيق المسيلي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج: 2، ص82.

[39] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظم).

[40] الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط: 3، 1413هـ -1992م، ص81.

[41] ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجع).

[42] ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ج1، ص210.

[43] ابن منظور، مادة (رصع)

[44] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص278.

[45]العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران، كتاب الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1409هـ، 1989م، ص375.

[46] ابن رشيق المسيلي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج: 2، ص26.

[47] العسكري، كتاب الصناعتين، ص 425.

[48] ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ، 1982م، ص 236.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، فحولة الشعراء تح: المستشرق ش. تورّي تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ-1980م.

2- ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ج1.

3- ابن رشيق المسيلي القيرواني أبو على الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ -1981م، ج1.

4- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط، د.ت).
5- ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1402هـ، 1982م.
6- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان (د.ط، د.ت)، مادة (صلح).
7- أحمد مطلوب: في المصطلح النقدي، المجمع العراقي، بغداد، 2002م.
8- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000م.
9- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.
التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1983م، ج1.
10- ثعلب أبو العباس، قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط،1995م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، حقوق الطبع للمجلس العربي الإسلامي، بيروت، ط4، ج3.
11- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط: 3، 1413هـ -1992م.
12- الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1992م.
13- الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط2،1974م، ج1.
14- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تح: محمد كمال الدين الأدهمي، مؤسسة هنداوي، 2020م.
15- الزَّبيدي مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ط، د.ت).
16- الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج، القلم، ط1، 1993م.
17- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، كتاب الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1409هـ، 1989م.
18- الفيروز آبادي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، القاموس المحيط، تح: محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت، 2014م، د.ط.
19- الفيومي أحمد بن محمد علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، ج1
20- القرطاجني أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.
21- المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح، مآخذ العلماء على الشّعراء في عدّة أنواع من صناعة الشّعر، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م.